الاتجاه الصوفی للدکتور عبدالحلیم محمود فی کتابة السیرة النبویة

الدکتور ممتاز أحمد السدیدی الازهری☆

Abstract

Dr. Abdul Haleem Mahmood is a renowned personality of Egypt. He also worked as Vice Chancellor of Jamia Azhar. He has written many books on Seerah. In this article the scholar introduced has the books of the said personality and discussed his Sufiana Methods. His famous books include Al Rasool Lamhant Min Hiyyat-e-He, Wa Nafhat Min Hadye-he Dlail-un-Nabbwwah, Al Isra Wal Meraj. He set mystic trend in Seerat writings. His simple style shows his performed knowledge of Arabic language and Islamic studies.

Key Words: Dr. Abdul Haleem Mahmood, Egypt, Jamia Azhar, Seerah, Sufiana, Al Rasool Lamhant Min Hiyyat-e-He

دراسة السیرة النبویة أمر ممتع وعظیم یزید بها حرارة الإیمان وحلاوته وقوته، إذ أن کل من یدرسها من منظور مهنته المعیَّنة یجد فیها بغیته، کما أنه یستمد النور والضیاء من السیرة العطرة للحبیب المصطفی ﷺ، وهکذا کل من الداعیة، والمعلِّم، والطالب، والمربّی، والمصلح، والمرشد الروحی، والمسترشد، والحاکم، والقاضی، والتاجر وغیر ذلک من أصحابِ المِهَن یجد النورَ والهدایة من مشکاة النبوة والتی لانستطیع الوصول إلی الطمأنینة

☆رئیس القسم العربی بجامعة المنهاج، لاهور

والفلاح إلا بضوئها۔ ومن هنا يطرح السؤال نفسه: إذا كان المذكورون أعلاه يدرسون السيرة النبوية من المنظور المعيَّن فهل للصوفية أيضا اتجاه معيَّن لدراسة السيرة العطرة للحبيب المصطفى ﷺ؟ هذا ما سوف نحاول دراسته من خلال كتابات الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق، الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله تعالى، و لم يكن فضيلة الدكتور عالما متصوفا وفيلسوفا نظريا فقط بل كان إلى جانب هذا وذاك متصوفا ومصلحا عمليا، اتصف فضيلته بالعلم والخُلق ورحابة الصدر، وسعة الأفق۔ ومن هنا تكوَّن له اتجاه صوفيٌ معيَّن لدراسة السيرة النبوية، الأمر الذي سوف ندرسه من خلال هذا البحث۔

ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود:

قبل أن ندخل في صلب الموضوع نطل إطلالة خفيفة على ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود، وهو أمر سوف يعيننا على دراسة أسلوبه ومنهجه واتجاهه الصوفي في كتابة السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام۔

اسمه عبد الحليم محمود، وينتهي نسبه إلى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما۔ ولد الشيخ عبد الحليم محمود في قرية أبو أحمد من ضواحي مدينة بلبيس بمحافظة الشرقية في ۲ من جمادى الأولى سنة ۱۳۲۸ م الموافق ۱۲ من مايو ۱۹۱۰ م والقرية منسوبة إلى جده أبو أحمد الذي انشأ القرية وأصلحها وتسمى الآن باسم السلام۔"[۱]

وعن مولد الدكتور ونشأته وتقلبه في المناصب يحدثنا أحمد علاونة قائلا: "ولد باحدى قرى محافظة الشرقية وحفظ القرآن الكريم، وولج الأزهر وظفر بشهادة العالمية، ثم سافر الى فرنسة عام ۱۹۳۲ م، ودرس علم النفس والاجتماع وتاريخ الأديان بجامعة سوربون، ونال الدكتوراة في التصوف الاسلامي، وفاء الى مصر مدرسا بالأزهر۔ فلما كان العام ۱۹۶۴ م عيّن عميدا لكلية أصول الدين، فأمينا عاما لمجمع البحوث الاسلامية عام ۱۹۶۸ م، فوكيلا للأزهر ۱۹۷۰ م، فوزير اللأوقاف ۱۹۷۱ م۔[۲]

توفي الدكتور عبد الحليم محمود في ۱۷ اكتوبر ۱۹۷۸ م الموافق ۱۵ ذي القعدة ۱۳۹۸ ھ[۳]

الدكتور عبدالحليم محمود ونزعته الصوفية:

لم يكن الدكتور عبد الحليم محمود أول شيوخ الازهر ميلا الى التصوف، يخبرنا الدكتور أحمد محمود السيد عن انتشار النزعة الصوفية بين شيوخ الأزهر بقوله:" تنتشر النزعة الصوفية بين الشيوخ الذين تولّوا مشيخة الأزهر جميعا، ولكن بنِسبٍ متفاوتة بين الاكتفاء بالاعتقاد، وبين الانخراط فى نهج وطريقة، وبين تأليف الكتب الداعية للتصوف والمدافِعة عنه۔ وقد سَرَتْ هذه النزعة حتى بين من عُرفوا بتوجيهاتهم العقلية مثل الشيخ مصطفى عبدالرزاق الذى توَّج مؤلفاته فى المنطق والفلسفة بمؤلف كبير عن أصول التصوف، لاينكر الدارسون للتصوف أن هناك علاقة وثيقة بين الصوفية وبين شيوخ الأزهر وأن هذه العلاقة قد أثمرت ومازالت تثمر۔"(۴)

لقد تحدث الأستاذ أحمد علاونة عن الدكتور عبد الحليم محمود واتجاهه الصوفى بقوله:"شيخ الأزهر، وأحد علماء مصر المثرين من التصنيف۔۔۔ كان صوفيا مهذبا۔"(۵)

وقد عرَّفه الأستاذ محى الدين الطعمى قائلا:" كان رضى الله إماما جامعا وعالما ربانيا شاذلى الطريقة، محبا لطريق القوم، وكان تلقى الطريقة الشاذلية عن الشيخ عبد الفتاح القاضى، ولمَّا زار الشيخ عبد الفتاح القاضى أبا الحسن الشاذلى فى حميثرة دعا له فى مقام الشاذلى وذكر فضل الإمام الشيخ عبد الحليم ثم قال:"إنى أنتظر له مشيخة الأزهر فهو جدير بها ولا أجد فى نظرى أولى بها منه۔"(۶)

وعن ارتباط الدكتور عبد الحليم محمود بالصالحين يخبرنا الشيخ محى الدين قائلا:"كان رضى الله عنه يزور كثيرا من صالحى الوقت مثل شيخنا محمد حافظ التيجانى بالمغربلين، والشيخ صالح الجعفرى، والشيخ أباالوفاء الشرقاوى، والشيخ أحمد رضوان صاحب الأقصر۔"(۷)

وعن مكانة الدكتور عبدالحليم محمود فى الشعب المصرى أخبرنا الشيخ محى الدين وهو يقول:"كان رضى الله محبوبا عند عامة الشعب، وكان لايخاف فى الله لومة لائم، قوَّالا للحق، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، قد يعارض ولاة الأمور أنفسهم اذا رآهم قد مالوا عن

جادة الصواب۔۔۔ وخلَف رضی اللہ عنہ عدة تلاميذ نجباء رباهم تحت نظره، ولا زالت مدرسة رضی اللہ عنہ مشهورة في التصوف، ولم يخلف بعده مثله في الورع والمشيخة۔"(۸)

كان الدكتور عبد الحليم محمود ممن جمعوا بين التعلُّم والتفقُّه والتصوُّف، قالت عنه سناء البيسي:"الصوفي الذي اطلق عليه ألقاب غزالي القرن العشرين، والامام العارف بالله الذي يضع حدا بين التصوف الحق وبين التصوف الزائف ليبين المنهج الصوفي الصحيح، وهو المنهج الاسلامي الذي كانت رسالته في الدكتوراة من السوربون موضوعها في التصوف عن الحارث ابن اسد المحاسبي، وكان منهجه الحب والاتباع، الحب للرسول ﷺ والاتباع لطريقته وتطبيقه، لقوله: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم۔(۹)

لقد تحدث الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي رحمه اللہ تعالى عن الاتجاه المثالي للامام عبد الحليم محمود قائلا:"كان في سلوكه المتصوف نمطا فريدا بين زملائه المماثلين۔ فالرجل ضليع كل الضلاعة في ثقافته المتشعِّبةِ العريقة، درس الفلسفة بفروعها المختلفة على اساتذتها الكبار في فرنسا، وكتب وترجم فصولا كثيرة تمتُّ إلى علم النفس، وعلم الاجتماع، والأدب المقارن، والفلسفة الحديثة بفروعها المختلفة، ثم نال رسالة الدكتوراة في فرع من فروع الفلسفة كان مهوى فؤاده۔ وكان من المنتظر أن يعود إلى الوطن مباهيا بما درس من أعلام الفكر الحديث في أعرق بلاد الفكر الحديث، ولكن الفرد عاد ليكون فردا في اتجاهه المثالي۔"(۱۰)

لقد كتب الشيخ خالد ثابت عن اخلاص الدكتور عبد الحليم محمود رحمه اللہ تعالى وتقواه:" فهذا رجل كان يعيش بيننا بالأمس القريب ولكنه اختلف عنا في أنه فهم عن ربه، فلم يدخر من طاقته طاقةً، ولا مِن ماله مالا إلا بذله كلّه لله۔ خمس سنوات قضاها في آخر عمره شيخا للأزهر، ملأ فيها الأسماع والأبصار بعمله الخالص لله، لا لهوى، ولا لذي نفوذ أو سلطان۔ سما بالمنصب فوق أمور الدنيا وطموحتها الملحة، وانشغل بهموم الدين في وقت أحاطت به الأعاصير، وكانت هموم المسلمين وآمالهم هي همومه وآماله۔"(۱۱)

امام الصوفية وعلاقته بالسيرة النبوية:

لقد تعلق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الدكتور عبد الحليم محمود رحمه اللہ

تعالى بالسيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام من أعماق قلبه المعمور بحب الله تعالى وحب حبيبه ﷺ، وأهل التصوف يتقربون إلى رحاب ربهم عن طريق الحب للحبيب المصطفى ﷺ، وشيخنا الجليل واحد منهم، ومن هنا فقد ألف الإمام الأكبر شيخ الأزهر في السيرة النبوية مايلي:

١ـ الرسول ﷺ لمحات من حياته نفحات من هديه

٢ـ دلائل النبوة

٣ـ الإسراء والمعراج

٤ـ القرآن والنبى

٥ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي

كما أنه قام بترجمة كتاب عن السيرة النبوية في مجلد كبير للفنان الفرنسي الكبير ألفونس اتيين دينيه (ناصر الدين) والذى كان قد تحوَّل من المسيحية الكاثوليكية إلى الإسلام، وقد وضع كتابه هذا بالفرنسية مع صديقه الجزائرى الحميم السيد فاضل سليمان بن ابراهيم، كما كتب الدكتور عبد الحليم محمود عن جوانب السيرة النبوية في مجموعة فتاواه غيرها من مؤلفاته، وقد عُرف من هنا أن العالم الصوفي أشد الناس حبا لله تعالى وحبيبه المصطفى ﷺ وأنه أكثر الناس اتباعا لما جاء به سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم۔

وقفات مع هذه الكتب ومنهجها الصوفي:

١ـ الرسول ﷺ لمحات من حياته نفحات من هديه

قامت بطبعه: دار الكتاب المصرى، من القاهرة ودار الكتاب اللبنانى من بيروت سنة ١٩٨٥م، والذى يقع في ١٩٠ صفحة، والكتاب ينطوى على الموضوعات التالية: مقدمة الكتاب، النسب الشريف، نبى التوبة، اقرأ والإخلاص، اقرأ والعلم، العلم في الإسلام، الإسلام أوسع دائرة، الجهر بالدعوة واثبات الرسالة، الإسراء والمعراج، الهجرة، الهجرة من زاوية أخرى، الجهاد، النبى العابد، الصلاة، والصيام، ومن العبادة الذكر، الدعاء، ومن العبادة الصلاة على النبى ﷺ، انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، من توجيهات القرآن(١)، من توجيهات

القرآن (۲)، خاتمة۔

فی هذا الكتاب القيم ركز المصنف حديثه على الإخلاص، والعلم، والعبادة، والأخلاق، واتباع التوجيهات القرآنية، وهذه هي الأمور التي يجب أن يتبعها المسلمون عامة والصوفية خاصة مهتدين بخطوات حبيبهم المصطفى ﷺ للحصول على سعادة الدارين، لقد ألف الدكتور كتابه هذا وهو يحثُّ قراءه على العمل بسنة الحبيب المصطفى ﷺ وسيرته العطرة، فكأنه يريد أن ينقذ قراءه من الرهبانية ويذهب بهم الى الربانية۔

۲۔ دلائل النبوة

يقع الكتاب في ٥٥٦ صفحة، وقد طبعت النسخة التي هي بين يديَّ من دلائل النبوة من دار الكتاب المصري بالقاهرة، ودار الكتاب اللبناني ببيروت سنة ١٤١١هـ، والكتاب يشتمل على عشرة فصول۔ الفصل الأول: عن صورة رسول الله ﷺ، والفصل الثاني: دلائل النبوة في نسبه ﷺ، والفصل الثالث: دلائل النبوة قبل البعثة، والفصل الرابع: الرسالة أسباب وبواعث وأهداف وغايات، والفصل الخامس: البيعة، والفصل السادس: الهجرة، والفصل السابع: المعجزات، والفصل الثامن: دلائل النبوة في معجزة الإسراء والمعراج، والفصل التاسع: طرق في اثبات النبوة، والفصل العاشر: مواقف، والفصل الحادي عشر: مواقف لبعض الغربيين، والفصل الثاني عشر: محمد بشرا رسولا، والفصل الثالث عشر: الخاتمة۔

بذل مشايخ الطرق الصوفية على -مرِّ العصور- جهودَهم في الماضي والحاضر لتقوية علاقة المخلوق مع الخالق، وذلك بايصال نور الاسلام الى قلوب الكفار وتزكية قلوب المسلمين من الرزائل وزرع الفضائل والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة في قلوبهم، وهذه الأهداف لاتتحقق الا بالارتباط الحبي مع الحبيب المصطفى ﷺ، وعن حاجة البشرية الى نور النبوة يحدثنا الدكتور عبد الحليم محمود بقوله: "ان مسألة اثبات وجود الله سبحانه وتعالى، ليست مشكلة دينية، لأن وجود الله سبحانه مركوز في الفطر الانسانية۔ انه سبحانه سمى نفسه الظاهر، انه ظاهر أينما وجه الانسان بصره في الآفاق، وهو ظاهر اذا وجه الانسان بصره في نفسه۔ ففي كل شيء له آية: سَنُرِيهِمْ اٰيٰتِنَا فِي الْاٰفَاقِ وَفِيْٓ اَنْفُسِهِمْ (۱۲) وَفِيْٓ اَنْفُسِكُمْ اَفَلَا

تُبصِرُوْنَ(۱۳) ولابن عطاء الله السكندرى فى ذلك جمل رائعة۔ ولابى الحسن الشاذلى، وابى العباس المرسى فى ذلك ايضا، آراء فى غاية النفاسة يعبر عن زاوية منها قول ابن عطاء الله السكندرى: "الٰهى كيف يستدل عليك، بما هو فى وجوده مفتقر اليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، فيكون هو المظهر لك؟ متى غبتَ حتى تحتاج الى دليل يدل عليك؟ ومتى بعُدتَ حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك؟" و الواقع أن محاولة الاستدلال على وجود الله انما هى انحراف فى الفطرة، وشذوذ فى الطبائع۔ أما المسألة الأساسية للدين: فهى البرهنة على صدق النبى ﷺ۔ ومن اجل ذلك، كتب أسلافنا رضوان الله عليهم، فى هذا الموضوع كثيرا من الكتب تحت عنوان: دلائل النبوة۔ أو اعلام النبوة أو الشمائل۔"(۱۴)

لقد جاء الدكتور عبد الحليم محمود بكتاب رائع فى دلائل النبوة الا أنه لم ينسَ أن يعترف بفضل سابقيه من الأئمة فى هذا المجال، انه يقول: "والواقع أن كل كتاب صحيح فى رسول الله ﷺ۔ انما هو كتاب فى دلائل النبوة، لأنه حياة فاضلة لشخصية كاملة لايمكن أن تتطرق اليها رذيلة الكذب بأى حال، وان من أجمل الكتب فى دلائل النبوة: كتب الصحاح أمثال صحيح البخارى، وصحيح مسلم۔ ان فيها من السيرة الطاهرة، ومن المعجزات الحسية، ومن احاديث الاخلاق الكريمة، ما يدل ــ فى وضوح لا شائبة للشك فيه ــ على صدق سيدنا محمد ﷺ، فاذا قرأت أى كتاب من كتب الامام البخارى فى صحيحه، فستجد ما يرضيك من ناحية الاطمئنان الى صدق نبوة محمد ﷺ، تعددت الكتب بحسب الموضوعات التى دار عليها حديث رسول الله ﷺ، وهى احاديث تحدد صلة الانسان بربه، وصلته بأخيه المسلم۔ انها تتعلق بالعبادات، وبالمعاملات، وبالمجتمع على وجه العموم، فى صورته التى رسمها الله سبحانه، على لسان رسوله ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوٰى ۝ اِنْ هُوَ اِلَّا وَحْيٌ يُّوْحٰى﴾(۱۵) فاذا ما تدبر الانسان أى كتاب من هذه الكتب، وكان صافى البصيرة لا يغشى قلبه شىء من الران، ولا يتمذهب بمذهب يطمس فطرته، ولا يقول كما قال بعضُ مَن سلَف: ﴿اِنَّا وَجَدْنَآ اٰبَآءَنَا عَلٰٓى اُمَّةٍ وَّاِنَّا عَلٰٓى اٰثٰرِهِمْ مُّقْتَدُوْنَ﴾(۱۶) فانه ۔ لا شك ۔ سيؤمن بأن محمدا ﷺ من الحق سبحانه۔"

ولم يكن قيام الدكتور عبد الحليم محمود بتأليف كتابه: "دلائل النبوة" صدفة بل كان

نتيجة لتفكير صوفي طويل وقراءات كثيرة لكتب السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، انه يقول في مقدمة كتابه: "دلائل النبوة" متحدثا عن منهجه في كتابه هذا: "ونحن لا نعالج الكتابة عن الرسول ﷺ لأول مرة، كلا۔ فقد سبق أن اشتركنا في ترجمة كتاب "محمد رسول الله ﷺ" واضطررنا في أثناء الترجمة الى الرجوع باستمرار الى السيرة في مختلف كتبها، لنقل النصوص عن أصولها۔ ثم ألّفنا كتاب: "الرسول: لمحات من حياته، وأضواء من هديه"۔ وهو: لمحات موجزة، أقباس يسيرة من سيرته المشرقة، صلوات الله وسلامه عليه وألّفنا في الاسراء والمعراج، وكانت قراءاتنا في السنين الأخيرة تتجه في كثير منها الى سيرة رسول الله ﷺ۔ وهذا الكتاب ــ الذي بين يديك ــ أشبه بثمرة لفترات طويلة، قضيتها سعيدا بين كتب الاحاديث وكتب السيرة، ولما كان الموضوع من السعة بحيث لا يستقل به مثلي، فاني اعلن هنا أني أشركت معي آخرين في هذا المؤلف۔ لقد اشركت معي الامام البخاري، والامام مسلم، والامام بيهقي۔ واشركت معي ما كان بين يدي من كتب السيرة، وكتب الشمائل، او الدلائل وذلك اني قد اعترفت من اسلافنا رضوان الله عليهم، واخذت في التنسيق والاستنتاج، او بيان العظمة والعبرة، وفي كثير من الأحيان، تركت هؤلاء الأعلام يعبرون باقلامهم عما رأيت انه الحق، وانه يعبر في وضوح لا لبس فيه، او في اشارة لا تخفى على لبيب عن زاوية من زوايا دلائل النبوة۔۔۔ وانى أحمد الله على ما مَنَّ به من توفيق۔ وأحمده على مِنحه التي توالت أثناء تأليف هذا الكتاب۔ وأحب أن أنبه الى ان بعض فصول هذا الكتاب، يعتبر كتابا مستقلا في دلائل النبوة۔ وذلك اني تركت بعض الابحاث يأخذ مجراه في الاستفاضة دون الحد منها۔ ولم اشأ ان اقف مع القارىء في ختام كل فصل، فانبه على دلائل النبوة في هذا الفصل۔ وكل ما أرجوه من القارى ان يقف وقفة المتدبر عند نهاية الفصل، ليرى بنفسه دلائل النبوة من خلاله، وارجو الله في ختام هذه المقدمة أن يكون قد كتب لي التوفيق في هذا الكتاب، وأن يشرح له صدورا، وأن يهدي به قلوبا، وأن يجعل نفعه عاما، إنه سميع قريب مجيب۔"(۱۸)

۳۔ الإسراء والمعراج:

يقع الكتاب "الإسراء والمعراج" للدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله تعالى في

۱۲۸ صفحة، والكتاب ينطوى على ثلاثة فصول، الفصل الأول: "بين يدى الإسراء والمعراج۔" والفصل الثانى: "الإسراء والمعراج من الكتاب والسنة۔" الفصل الثالث: "منهج الحياة الذى رسمته أنباء الإسراء والمعراج۔" وجاءت الخاتمة فى نهاية الكتاب۔

يحدثنا الدكتور عبد الحليم محمود عن الدوافع التى حفزته على تأليف هذا الكتاب عن جانب من جوانب السيرة العطرة، انه يقول: "فى مسجد مولانا الحسين رضى الله عنه فى شهر رجب من سنة ۱۳۸۷ هـ احتفلت جمهورية مصر العربية -عن طريق التلفزيون- بليلة الإسراء والمعراج، مشارِكة بذلك العالَمَ الإسلاميَّ كلَّه، ومعتِبرةً بهذا الوضع عن الأهمية الكبرى التى لهذه الليلة المباركة، وقد حضر الحفل كثير من كبار السادة المسئولين فى مختلف الوزارات وفى الأزهر۔ وقد دعانى المشرفون على البرنامج -مشكورين- للحديث مع من دعى فى تلك الليلة المباركه۔ انتهزتُها فرصة لأقول رايى بصراحة فى نقطة من هذا الموضوع، حيث اتيح إعلانها فى أوسع دائرة ممكنة من المستمعين فى المسجد، ومن المشاهدين على الشاشة۔۔۔ ولم يستغرق حديثى أكثر من ربع ساعة، قلت فيها - فى لمحات خاطفة- كل ما كنتُ اريد أن اقول فى الموضوع عامة وفى هذه النقطة خاصة، ثم نزلت مِنْ عَلٰى المنصة، وكأننى قد تخففت من حمل، وكأننى قد برئت من مسئولية، وظننت أن الأمر قد انتهى، وأننى قد أسْمَعْتُ، وأن الكلمة ستأخذ مجراها، وأن الله سيفتح لها آذاناً، ويشرح لها صدوراً۔"(۱۹)

لقد كان حديثه عن الإسراء والمعراج موجزا إلا أنه تأثرت قلوب الناس بهذه الكلمات الطيبات التى كانت قد خرجت من قلب عامرٍ بذكر الله تبارك وتعالى، فتوجهت اليهم وبالتالى استقرت فى أعماق قلوبهم، فطالبوا فضيلة الإمام مزيدا من النفحات، وقد عبر فضيلة الإمام -فى تواضع- جم عن أشواق الناسٍ الى المزيد من حديثه قائلا: "وما أن انقضى الحفل، حتى التفَّ حولى كثير من ذوى البصائر الرشيدة، يرجون أن أكتب فى الموضوع، افصِّل ما اجملت واستفيض فيما كان اشبه بلمحات، واوضِّح هذا الذى وقع من أنفسهم موقع الاستحسان۔۔۔ وعدَدْتُ هذا منهم مجاملةً، قابلتُها بمثلها، وشكرتُ لهم حسنَ ظنِّهم، ورجوت من الله التوفيق لى ولهم، ولكن الحديث عن الموضوع استمر، وكثر طلب الناس هنا وهناك للكتابة فى هذا الموضوع فى صورة أوسع، وفى زواياه المتعددة، وحفزنى هذا إلى العودة إلى الموضوع من

جدید۔"(۲۰)

وهكذا المشايخ الربانيون حيث تنطق قلوبهم أكثر من ألسنهم، ومثل هذه الهمسات هى التى تحدث التغيير الجذرى فى دنيا القلوب، وشتان بين من ينصحون بلسان فقط ومن يقومون بمهمة التزكية بلسان مشفوع بقوة المواجيد والأحوال، تعالوا ننظر إلى تواضع رجل جمع بين الفقه والتصوف، انه يقول: "وما من شك فى اننى لم اخترع رأياً ولم ابتدع فكرة، ولم اجىء بما لم يكن موجوداً، وكل ما فى الموضوع اننى حاولت فى هذه النقطة -التى كانت مثار سؤال وبحث- أن ابرز ما حاول البعضُ المرورَ عليه مروراً عابراً، وان اظهر ما لم يكن البعض يقف عنده، وان اعلن عما كان موجزاً لا يكاد يبين عنه بعض الكاتبين، لست إذن بدعاً فى الراى ولا مبتدعاً فيه، على ان هذه النقطة التى كانت مثار بحث ليست ابرز شيءٍ فى هذا الكتاب، بل إنها لم تستغرق منه مكاناً كبيراً۔"(۲۱)

تختلف رؤية فقيه بحت عمن تفقه وتصوف، الصوفى لا يبحث النجاة لنفسه فقط بل يطمع فى نجاة الآخرين أيضا، إن عامة المسلمين يحتفلون بليلة الإسراء والمعراج على أنها معجزة وقعت للحبيب المصطفى ﷺ ثم يمرون بها دون أن يتعظوا بما فيها من الدروس والعبر لنا جميعا، فأظهر شيخنا الكريم رؤيته الصوفية وبيَّن منهج الحياة الروحية للمسلمين من منطلق الإسراء والمعراج، انه القائل: "لقد أردت على الخصوص أن ابين أن قصة الإسراء والمعراج إنما تمثل:

۱۔ منهج حياة فى العقيدة۔

۲۔ منهج حياة فى الأخلاق۔

إنها منهج الحياة الروحية فى حياة المسلم، وهذه النقطة بالذات هى التى استفضتُ فيها، والتى ارجو أن اكون قد صاحبنى فيها التوفيق، إن بعض المسلمين يحتفلون بهذا الحادث على أنه حدث تاريخى مجيد، ثم يمرون به على أنه معجزة وقعت لسيدنا محمد ﷺ، فاظهرتُ مالَهُ من فضلٍ، وبيّنت مالَهُ من مكانة، فإذا ما شرحوها من هذا الجانب فكأنهم قد أوفوا الموضوع حقَّه، وقالوا فيه ما يمكن أن يقال، ولكن أمر الإسراء والمعراج أوسع وأعم من أن يكون حدثاً تاريخياً انقضى وانتهى۔ وذلك انه رسمٌ لحياة المسلم، وفيه من العظات والعبر مالا

یکاد یحیط به الإنسان۔ وسنحاول بتوفیق اللہ أن نکتب عنه فی هذه الجوانب والزوایا، واللہ نرجو أن تمتد لهذا الکتاب الأعین، وتتفتح له الآذان، وأن یشرح اللہ له الصدور، وأن یهدی له، وأن یهدی به، إنه سبحانه قریب مجیب، وماتوفیقی إلا باللہ، علیه توکلت وإلیه أنیب۔"(۲۲)

الحِکم الإلهیة من الإسراء والمعراج:

لقد تحدث فضیلة الإمام الأکبر عن العبر والعظات والدروس المستفادة من الإسراء والمعراج فی کتابه: "الإسراء والمعراج" إلا أنه تحدث عن الحِکم الربانیة فی تکریم الحبیب المصطفی ﷺ بالإسراء والمعراج فی مجموعة فتاواه قائلا: " انها لیست حکمة واحدة وانماهی عدة حِکمٍ، منها: أنه کان تکریما للرسول ﷺ فی وقت استحکم فیه الجهاد بین قوی الخیر ممثّلة فی الرسول ﷺ وأتباعه، وقوی الشر ممثلة فی المشرکین یتزعمهم ابو جهل، وکانت قوی الشر فی عنفوانها علی قوی الخیر، فجاءت معجزة الإسراء والمعراج مبینة مکانة الرسول ﷺ، وأظهرت أن مقامه صلوات اللہ وسلامه علیه: قاب قوسین أو ادنی۔ فی القرب من اللہ سبحانه۔

ومن حِکم معجزة الإسراء والمعراج أنها کانت تصفیة لضعاف النفوس والشاکین والمترددین، لقد کانت نفیا لهم عن الجماعة الإسلامیة الناشئة، اذ أنهم لو مکثوا فیها لکانوا ضررا علیها، ولئن کانت معجزة الإسراء والمعراج تکریما للرسول ﷺ فانها کانت ابتلاءً للجماعة الإسلامیة لیمیزُ اللہُ الخبیثَ من الطیب، ولیذهب الزبدُ جفاءً وتخلصت الجماعة الإسلامیة الناشئة من الضعاف والشاکین والمترددین۔

ومن الحِکَم بیان أن القیادة فی بیت المقدِس یجب أن تکون للمسلمین، وهذا هو المعنی الذی یؤخذ من امامة رسل اللہ ﷺ للأنبیاء والرسل، ان الإمامة فی بیت المقدس وأن الکلمة الأولی والقیادة یجب أن تکون للمسلمین دون غیرهم، فاذا قصَروا فیها فهم آثمون أفرادا، وهم آثمون جماعاتٍ، وهم آثمون دُوَل وحکوماتٍ۔

ومن هذه الحِکم مانبَـهَتْ علیه المشاهدةُ الأولی فی مرحلة الإسراء المبارکة، لقد کان أول ماشاهد رسول اللہ ﷺ مشهد هؤلاء الذین یزرعون ویحصدون فی یوم۔ ولما سأل عنهم

قیل: انهم المجاهدون فی سبیل الله تُضاعفُ لهم الحسناتُ إلی سبعمائة ضِعفٍ۔ وما أنفقوا من شیئٍ فهو یخلفه وهو خیر الرازقین۔"(۲۳)

۴۔ القرآن والنبی ﷺ:

یحتوی هذا الکتاب علی أربعمائة صفحة، وقد طبع من دار المعارف، القاهره، وبین یدیَ الطبعة الرابعة من هذا الکتاب، یتکوّن الکتاب من ثلاثة کتب وهی کالتالی:

الکتاب الأول: القرآن الکریم۔ والفصول التالیة تحته: الفصل الأول: الجو الذی نشأ فیه الإسلام، الفصل الثانی: تصحیح الفکرة العامة عن العرب، الفصل الثالث: العقیدة، الفصل الرابع: فی تفسیر القرآن، الفصل الخامس: اقرأ باسم ربک الذی خلق۔

الکتاب الثانی: النبی ﷺ۔ وهو مشتمل علی التمهید والفصول التالیة: الفصل الأول: النسب الشریف، الفصل الثانی: نبی التوبة، الفصل الثالث: الوحی، الفصل الرابع: الإسراء والمعراج، الفصل الخامس: الهجرة، الفصل السادس: الجهاد، الفصل السابع: النبی العابد، الفصل الثامن: انما بعثتُ لأتمم مکارم الأخلاق، الفصل التاسع: من توجیهات القرآن۔

الکتاب الثالث: السنة الشریفة ومکانتها۔ وهو مشتمل علی التمهید والفصول التالیة: وما ارسلناک إلا کافة للناس۔ الفصل الثانی: تدوین الشنة، الفصل الثالث: المحدِّثون وجهادهم، الفصل الرابع: والوضّاعون فی العصر الحاضر۔

یبدو من محتویات الکتاب: "القرآن والنبی" للدکتور عبد الحلیم محمود رحمه الله تعالی أنه کان فضیلته من الصوفیة المتمسکین بالکتاب والسنة للحبیب المصطفی ﷺ الذی جاء بالکتاب، وکان خلقه القرآن، وللمسلمین فی سیرته العطرة أسوة حسنة۔ وقد وردت النقاط التالیة فی مقدمة الکتاب: القرآن والنبی ﷺ۔

۱۔ الوعد الإلهی بالطمأنینة فی الدارین لمن آمن وعمل صالحا

قال الدکتور عبد الحلیم محمود فی مقدمة کتابه "القرآن والنبی ﷺ" من منطلق الآیة المذکورة بعالیه: "من رحمة الله سبحانه وتعالیٰ بخلقهٖ أن رسم لهم سبیل السعادة فی دنیاهم وفی اخراهم، وهو طریق لا استحالة فیه ولا مشقة حقیقة، قد جربه الکثیرون ففازوا بالسعادتین، لقد

استراحوا فی هذه الحياة الدنيا، لقد غمرهم الرضا، وأحاط بهم الاطمئنان، ولفهتم أردية السعادة، ولقد ضمن الله لهم حياة هنيئة فی الآخرة: يظلهم بظله يوم لا ظل إلا ظله، ويكفّل لهم عدم الخزی حين يغمر الخزی كثيراً من الخلائق، ويُدخلهم الجنة برحمته، ويريهم وجهه الكريم تفضلا منه سبحانه، هذه السعادة فی الدنيا والآخرة وعد الله بتحقيقها لكل من توفر فيه شرطان۔

الاول: الإيمان

الآخر: العمل الصالح۔

يقول سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثٰى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ اَجْرَهُمْ بِاَحْسَنِ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ﴾(۲۴) ان الله تبارک وتعالی وعد عبادَه الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالطمأنينة وتحقيق الحياة الطيبة فی الدارين وذلک فی الآية السابعة والتسعين من سورة النحل حيث نلم التسوية بين الذكر والأنثى، وعن هذا الوعد الالهی يحدثنا الدكتور بقوله: "وهذا قانون الٰهی عام، ليس خاصا بسيدنا إسماعيل ولا بفرد معين، وإنما هو شامل لكل من انضوى تحت لواء الإيمان والعمل الصالح، وقد بين سبحانه عمومه فی آيات كثيرة من القرآن الكريم، وبين سبحانه انه كما يشمل الفرد وكما يشمل الاسرة فإنه يشمل ايضا المجتمع، فالمجتمع الذی يحقق الشرطين يصل إلى السعادة۔ ﴿اَلَآ اِنَّ اَوْلِيَآءَ اللّٰهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ۝ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَكَانُوْا يَتَّقُوْنَ ۝ لَهُمُ الْبُشْرٰى فِی الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِی الْاٰخِرَةِ ؕ لَا تَبْدِيْلَ لِكَلِمٰتِ اللّٰهِ ؕ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ﴾(۲۵)

والآيات الكريمة تشتمل على زوايا اكبر من زوايا السعادة منها:

۱۔ ان الذين آمنوا وكانوا يتقون: ای الذين حققوا الإيمان والعمل الصالح۔ هم اولياء الله۔

۲۔ ولانهم اولياء الله فلا خوف عليهم۔

۳۔ ولانهم اولياوه سبحانه فإنهم لا يحزنون۔

۴۔ ولانهم حققوا الإيمان والعمل الصالح فإن لهم البشریٰ فی الحياة الدنيا۔

۵۔ ولهم البشریٰ فی الآخرة۔

ثم يوكد الله كل ذلک بانه لا تبديل لكلماته، إن وعده حق، ومن أوفی بعهده من الله؟

ثم يوجه الله سبحانه الاذهان، اذهان الصالحين واذهان المنحرفين على السواء- بأن ذلک لاغيره إنما هو الفوز العظيم۔ ﴿اِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوْا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ o اُولٰٓئِکَ اَصْحٰبُ الْجَنَّةِ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا جَزَآءً بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ﴾(۲۶)

ويقول سبحانه في شيءٍ من الإيضاح الجميل الشائق: ﴿اِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوْا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةُ اَلَّا تَخَافُوْا وَلَا تَحْزَنُوْا وَاَبْشِرُوْا بِالْجَنَّةِ الَّتِيْ كُنْتُمْ تُوْعَدُوْنَ o نَحْنُ اَوْلِيٰٓؤُكُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْاٰخِرَةِ وَلَكُمْ فِيْهَا مَا تَشْتَهِيْٓ اَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيْهَا مَا تَدَّعُوْنَ o نُزُلًا مِّنْ غَفُوْرٍ رَّحِيْمٍ o وَمَنْ اَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَآ اِلَى اللّٰهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَّقَالَ اِنَّنِيْ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ o وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ اِدْفَعْ بِالَّتِيْ هِيَ اَحْسَنُ فَاِذَا الَّذِيْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهٗ عَدَاوَةٌ كَاَنَّهٗ وَلِيٌّ حَمِيْمٌ o وَمَا يُلَقّٰهَآ اِلَّا الَّذِيْنَ صَبَرُوْا وَمَا يُلَقّٰهَآ اِلَّا ذُوْ حَظٍّ عَظِيْمٍ﴾(۲۷)

۲۔ القوانين الالهية التي عبر عنها على لسان الرسول ﷺ:

ذهب الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله تعالى إلى أن الله تعالى أرسل رسله وأنزل كتبه ليكرم البشرية القلقة بالطمأنينة والسكينة في الدنيا ويوم الفزع الأكبر، والدكتور عبدالحليم محمود رحمه الله تعالى واحد رجال الدعوة والإرشاد، والذي ظل يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة طوال حياته، لقد نبّه على القوانين الإلهية بقوله: "ولله سبحانه وتعالىٰ في عالم الروح وفي عالم الاجتماع قوانين لا تتخلف۔ وكما انه سبحانه رسم في عالم المادة نواميس تسير في انتظام فإنه سبحانه رسم في عالم الأخلاق وفي محيط الإيمان، وفي ظواهر الاجتماع- قوانين تسير في نظام محكم بل إنه يمكن أن يقال: إن قوانين الطبيعة إنما هي "عادات الطبيعة" أما القوانين التي عبر الله سبحانه وتعالىٰ عنها في القرآن الكريم أو على لسان رسول الله ﷺ في الأحاديث القدسية او في الأحاديث النبوية وأكدها سبحانه- فإنها نواميس لا تتخلف۔ ولقد أبان الله سبحانه منها عما يحتاج إليه الإنسان في سعادته الخالدة۔"(۲۸)

بعدما استلف الدكتور انتباه القارىء توجه فضيلته إلى بيان القوانين الربانية، من خلال الآيات القرآنية، انه يأخذ بيد القارىء إلى رحاب ربّه منبّها على القوانين الإلهية التي سوف تأخذه إلى برّ الأمان، انه يقول: "من هذه القوانين:

۱۔ قانون الاستغفار، أو قانون سعة الرزق۔ یقول تعالیٰ: ﴿وَ یٰقَوْمِ اسْتَغْفِرُوْا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوْٓا اِلَیْهِ یُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَیْكُمْ مِّدْرَارًا وَّ یَزِدْكُمْ قُوَّةً اِلٰى قُوَّتِكُمْ وَ لَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِیْنَ﴾(۲۹)

۲۔ قانون التقویٰ، او قانون تفریج الکربات وسعة الرزق۔

یقول تعالیٰ: ﴿وَ مَنْ یَّتَّقِ اللّٰهَ یَجْعَلْ لَّهٗ مَخْرَجًا ۝ وَّ یَرْزُقْهُ مِنْ حَیْثُ لَا یَحْتَسِبُ﴾(۳۰)

ویقول سبحانه: ﴿وَ لَوْ اَنَّ اَهْلَ الْقُرٰۤى اٰمَنُوْا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَیْهِمْ بَرَكٰتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَ الْاَرْضِ﴾(۳۱)

۳۔ قانون التوکل:

یقول سبحانه: ﴿وَ مَنْ یَّتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهٗ﴾(۳۲)

۴۔ قانون النصر۔

یقول سبحانه: ﴿وَ لَیَنْصُرَنَّ اللّٰهُ مَنْ یَّنْصُرُهٗ اِنَّ اللّٰهَ لَقَوِیٌّ عَزِیْزٌ﴾(۳۳)

۵۔ قانون الجهاد، او قانون الهدایة۔

یقول تعالیٰ: ﴿وَ الَّذِیْنَ جَاهَدُوْا فِیْنَا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(۳۴)

ای جاهدوا انفسهم من اجل الله، وجاهدوا اعداء الله سبحانه من اجله تعالیٰ، إذا فعلوا ذلک فإن الله یهدیهم إلی الصراط المستقیم: یسدد خطاهم، ویمنحهم التوفیق فیما یاتون وفیما یدعون، ویضعهم علی ابواب النصر، وینصرهم بالفعل۔

۶۔ قانون التوبة۔

ونتیجة التوبة الخالصة النصوح المغفرة، وفی القرآن ما لا یکاد یحصی من الآیات إثباتا لذلک، بید أن الذی نرید أن نتحدث عنه إنما هو قانون التوبة فی ذروتها۔"(۳۵)

ان هذا المرشد الروحی یدعو قراء کتابه "القرآن والنبی ﷺ" إلی التوبة حتی یکتسبوا المغفرة والحبَّ الإلهی، انه یقول: "ومما لا شک فیه أن التوبة أنواع:

۱۔ نوع هو ادناها، وهو التوبة من الذنوب والمعاصی والآثام، وقد وعد الله التائبین من هذا النوع المغفرة۔

۲۔ ونوع هو توبة من الغفلة عن الله، وهو نوع وسط بین التوبة من الذنوب والتوبة التی هی عبادة۔

۳۔ أما النوع الأسمی فهو التوبة مع عدم ذنب، والتوبة مع عدم الغفلة: التوبة حیث لا معصیة، ولا غفلة۔ والتوبة لأن الله أمر بالتوبة، وتکرار التوبة لأن الله سبحانه یحب ذلک۔

وقانون هذه التوبة التى ليست لذنب ولا لغفلة إنما لأمر الله هو ما رسمه الله بقوله: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِيْنَ)(۳۶) ولقد عبر الله سبحانه بقوله: ((التوَّابيْنَ)) ولم يعبر بالتائبين؛ لأن الله سبحانه يحب الإنابة إليه على الدوام والرجوع إليه باستمرار: أى التوبة دائماً۔ ونتيجة ذلک هى هذه المنزلة الكبرىٰ، وهى حب الله سبحانه للتوابين۔(۳۷)

۵۔السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى

يشتمل هذا الكتاب على سبع وتسعين صفحة، وقد طبع من المكتبة العصرية، صيدا، ببيروت، ويتكوَّن هذا الكتاب من أربعة فصول، الفصل الأول: الرسول وسنته التشريعية، الفصل الثانى: تدوين السنة، الفصل الثالث: المحدثون فى جهادهم، الفصل الرابع: الوضاعون فى العصر الحاضر۔

ان قيام الدكتور عبد الحليم محمود بتأليف كتابه هذا ينفى عنه وعن الصوفية تهمة الاعراضَ عن السنة، كما يبدو انه يدعو الجميع الى التمسک بالسنة، انه يقول: ”ان السنة: دعوة بالحسنى الى الرقى الاخلاقى الذى تجرى وراءه الانسانية المهذبة، انها دعوة الى التاجر ان يكون صادقا فيحشر مع النبيين والصديقين والشهداء، الى العامل أن يتقن عمله، لأن الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه، والى الصانع ان يؤدى العمل كما يجب، حيث اخذ الاجر، ومن أخذ الاجر حاسبه الله على العمل۔ وهى دعوة الى الاب، باعتباره ابا، والى الام فى وضعها كأم، والى الاخ فى مهمته كأخ، والى غيرهم من افراد المجتمع أن يرعى كل منهم ما وُكِّلَ اليه من امر رعيته وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته۔ وهى دعوة للناس الى الامانة، حيث أنه لا ايمان لمن لا امانة له۔ والى الصدق، ان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا۔ والى الرحمة؛ الرحمة العامة الشاملة۔“(۳۸)

ينبه الدكتور عبد الحيم محمود على دور السنة الشريفة للحبيب المصطفى ﷺ فى تنمية الأخلاق، لذا اهتم بها العلماء فى كل عصر اهتماما بالغا، انه يقول: ”وخذ أى خلق كريم تتمنى ان يسير عليه المجتمع؛ فستجد فى السنة دعوة اليه، بوسيلة او بأخرى، وبثالثة وهى فى هذه الدعوة تنبه دائما الى دور الامة الاسلامية فى الاخلاق العالمية أن دورها انما هو دور الرائدة الراعية وعلى الرائد دائما ان يكون المثل الاعلىٰ۔ والاسودة الكريمة، والقدوة

الصالحة۔ولقد كان رسول اللهﷺ: الصورة الحية الناطقة التى طبقت كمبادئ انسانية ممكنة ــ الخلق الذى رسمه الله وأحبه للانسانية جمعاء، والذى عبرت عنه السنة اجمل تعبير وأبلغه۔ومن اجل هذا التقدير الكريم للسنة الشريفة كان العلماء المستنيرون فى كل عصر يجاهدون من اجلها، ومن اجل مكارم الاخلاق التى تعبر عنها، وكان هؤلاء العلماء ــ علماء السنة ــ يعرفون بسيماهم، فقد كانوا من الزاهدين فى حطام الدنيا بحيث لا ينازعون الناس فى دنياهم۔ لقد كانوا مشغولين عن جمع المال بخدمة الدين، وكانوا مشغولين عن الجاه بغرس الخُلق الصالح الكريم، وكانوا مشغولين عن السلطان بمن بيده السلطان يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء، مالك الملك ذى الجلال والاكرام۔وكانوا صادقين، لقد كان الصدق دينهم وفطرتهم۔ وكانوا صابرين على الحياة، وصابرين على العمل: لقد اقاموا نهارهم، وأسهروا ليلهم عملا على مرضاة الله ورسولهﷺ۔ ولولا وجود هذه المثل العليا لمكارم الاخلاق فى كل عصر لفقدت الانسانية الثقة بنفسها، ولما اطمأن انسان لانسان، ولما وثق شخص بآخر۔"(۳۹)

لقد ربَّت السنة رجالا، وخصائصها التى ربت بها الرجل موجودة فيها، لأنها من طبيعتها ومن ذاتها۔ ولقد شاهدت الانسانية واعترفتْ بسمو هؤلاء الرجال، وأولتهم ثقتها وتقديرها۔ان الامام احمد بن حنبل، وان الامام البخارى، وان امير المؤمنين فى الحديث: الامام سفيان الثورى، وأمثال هؤلاء،رضى الله عنهم: منارات يهتدى بهم عشاق المثل العليا الاخلاقية۔لا بد اذن من العمل على نشر السنة واذاعتها، ومحاولة الاكثار من النفوس التى تنشرها وتحققها وتتمثلها وتحياها۔لا بد من نشرها وطنيةً، ولا بد من نشرها انسانيةً، لأنها تعبر عن ارقى مستوى انسانى، ولا بد من نشرها دينا، ولا بد من نشرها ذوقا ادبيا، ولا بد من نشرها للثروة اللغوية۔(۴۰)

ويظهر الدكتور عبد الحليم محمود أهمية السنة فى نشر مكارم الأخلاق فى المجتمع الانسانى وانقاذه من الدمار الأخلاقى والروحى، انه يقول :"وما من شك فى ان للسنة جوا فكريا: فالرسولﷺ: يتحدث عن اصلاح المجتمع، وعن عوامل الهدم، التى تعمل على تفويضه، وعن عوامل البناء التى تعمل على اقامته على قواعد سليمة، ويتحدث عن النظم التى

ينبغي ان تسود المجتمع الانساني، وعن الاوضاع التي يجب ان تستقيم، ومن اجل ذلک كله كان نشر السنة واجبا دينيا، وعملا اجتماعيا كريما، وواجبا وطنيا حتميا، واصلاحا اخلاقيا ساميا، وهو على كل حال ضرورة وطنية ملحة في عصر تحاول الرذيلة فيه ان تعمم الانحلال الخلقي في كل اسرة وفي كل بيت، ويحاول الفساد ان يأتي على مقدسات الامة ومقوماتها من عرض وشرف وكرامة، لقد احب الله للانسانية مثالا أخلاقيا كريما رسمه سبحانه في القرآن الكريم قولا، فكان رسول اللهﷺ الصورة التطبيقية الكاملة للرسم الالهي، وكان بذلک الانسان الكامل۔ لقد كان المثل الاعلىٰ في الرحمة، والمثل الاعلىٰ في الكفاح والمثل الاعلىٰ في الصبر المجاهد المتفائل، والمثل الاعلىٰ في الصدق، في الاخلاص، في الوفاء، في البر، في الكرم۔ ولقد وصفه الله سبحانه وتعالىٰ بقوله: ((وَإِنَّکَ لَعَلٰی خُلُقٍ عَظِيْمٍ))۔[۴۱] ولا ريب في أن الامة الاسلامية حينما تقتدى بالرسولﷺ: انما تقتدى باعظم البشر رجولة وانسانية۔"[۴۲]

هذه هي بعض جهود الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود في مجال السيرة النبوية من منطلق رؤيته الصوفية، والتي كان فيها موفقا الى درجة كبيرة، وكانت هذه المساعي بعيدة عن الغلو، كما كانت متصفة بالتوازن والاعتدال۔

وبالجملة:

يعدُّ-الدكتور عبد الحليم محمود عن جدارة واستحقاق-رائد مدرسة الفكر الإسلامي الحديث وشيخا من شيوخ التصوف المستمد من الكتاب والسنة في عصرنا الراهن۔ لقد أثرى فضيلتُه المكتبةَ العربيةَ بكتاباته القيمة بين تحقيق أمهات كتب التصوف، والتأليف والترجمة، وله دراسات قيمة عن السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام وعن رواد التصوف الاسلامي على مر العصور، كما أنه كان مثالا رائعا للجمع بين الفلسفة، والتصوف، والثقافة الجامعية۔

(۱) سار الدكتور على درب الصوفية العالمين بالكتاب والسنة والذين يدعون المسلمين الى اتباع النبيﷺ حتى يصبحوا ممن يسعدون بالحب واللطف والكرم من الله تعالى كنتيجة

لاتباع الحبيب المصطفى ﷺ۔

(۲) يدعو الدكتور اتباع الصوفية الى التحلى بنور العلم و كأنه يدين الجهل، الأمر الذى أساء إلى التصوف و الصوفية۔

(۳) لقد نظر الدكتور الى معجزة الاسراء و المعراج بنظرة تختلف عن رؤية عامة المسلمين الذين يرونها من منظور عظمة الحبيب المصطفى ﷺ و رفعة قدره عند ربه فقط، الا أن شيخنا الجليل استخرج من خلال المشاهد التى عُرضت على الحبيب المصطفى ﷺ خلال رحلة الاسراء و المعراج بعض القيم الأخلاقية و الروحية التى يجب على المسلمين أن يتسموا بها۔

(۴) بيّن فضيلة علاقة القرآن بالنبى ﷺ كأنه يعلن للجمع أنه لا يتم الحصول على الصفاء و التزكية و مرتبة الاحسان الا بالسلوك على الطريق الذى ينيره القرآن و يوضحه النبى ﷺ۔

(۵) لقد اهتم الدكتور اهتماما بالغا بدلائل النبوة و هو يبرهن على أنه يتحتم علينا أن ننظر إلى الدلائل التى أكرم بها الحبيب المصطفى ﷺ بعين الاعتبار حتى يزداد إيماننا قوة و يأخذ بنا إلى رحاب ربنا، الأمر الذى هو الهدف المنشود للصوفية، و الذى تتجلى له دلائل نبوة الحبيب المصطفى ﷺ فانه يزداد إخلاصا لله، و زهدا فى الدنيا و رغبة فى الآخرة۔

(۶) لم يجد الباحث فى الكتابات للدكتور نزعة إلى الهروب من الدنيا، و اللجوء إلى الرهبانية، و الالتفات إلى الخرافات، و الانحراف عن الشريعة الإسلامية الغراء، بل وجد الباحث أن فكرة الدكتور مستنيرة بالكتاب و السنة، فهو صوفى أكرم بغزارة العلم، و سعة الأفق و رحابة الصدر، كما أنه أكرم من الحكمة و الموعظة الحسنة خيرا كثيرا، فكان داعيا إلى الله على بصيرة، كما أنه كان ذا اطلاع واسع على الشيوعية، و اليهودية و انشطة المستشرقين و المبشرين المسيحيين، و هى أمور كونت له رؤية معينة تجاه السيرة المعطرة و التصوف الاسلامى۔

(۷) اعتنى الدكتور بالسنة عناية بالغة لأن الدكتور كان يرى أنه لا روحانية و لا تصوف الا باتباع السنة المطهرة، و كل طريق غير طريق الكتاب و السنة يودى المتاهات و يبعد عن رحاب الرب جل جلاله۔

○○○

الهوامش والمصادر

۱۔ موقع دار الإفتاء المصرية dar-alifta.org/AR/ViewScientist.aspx?ID=69.w.

۲۔ أحمد علاونة، ذيل الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، جده: دار المنارة، ۱۴۱۸ھ ص: ۱۱۵

۳۔ مقال محمول على شبكة المعلومات الدولية :www.alsoufia.com//:http تحت عنوان: الصوفية ومشيخة الأزهر، ص: ۱۰

۴۔ المرجع السابق، ص: ۱۰

۵۔ أحمد العلاونة، ذيل الأعلام، ص: ۱۱۵

۶۔ محى الدين الطعمى، النور الأبهر فى طبقات شيوخ الأزهر، دار الجيل، بيروت، ۱۹۹۲م، ص: ۷۷ نقلا عن: المنار الهادى فى مناقب شيخنا القاضى، للشيخ عبد الجليل قاسم، ص: ۵۸۰

۷۔ المرجع السابق، ص: ۷۷

۸۔ المرجع السابق، ص: ۷۸

۹۔ جريدة الاهرام، القاهرة، السنة: ۱۳۲، العدد: ۴۴۱۳۵، ثمانية اكتوبر ۲۰۰۷م

۱۰۔ محمد رجب البيومى، الدكتور، النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين، بيروت، دمشق: دار القلم، ۱۹۹۵م، ۱/۲۱۸

۱۱۔ محمد خالد ثابت، الإمام الأكبر عبد الحليم محمود، دار المقطم بالقاهرة، ۱۴۳۷ھ، ص: ۶

۱۲۔ فصلت: ۵۳

۱۳۔ الذاريات: ۲۱

۱۴۔ عبد الحليم محمود، الدكتور، دلائل النبوة، طبعة دار الكتاب المصرى بالقاهرة، ودار الكتاب اللبنانى ببيروت سنة ۱۴۱۱ھ، ص: ۸،۷

۱۵۔ النجم ۳، ۴

۱۶۔ الزخرف:۲۳

۱۷۔ المرجع السابق، ص:۹،۸

۱۸۔ المرجع السابق، ص:۱۰،۹

۱۹۔ عبدالحلیم محمود، الدکتور، الإسراء والمعراج، طبعة دار المعارف، الطبعة الحادیة عشرة، ص:۷۰

۲۰۔ المرجع السابق، ص:۷

۲۱۔ المرجع السابق، ص:۶،۵

۲۲۔ المرجع السابق، ص:۷

۲۳۔ عبدالحلیم محمود، الدکتور، فتاوی عبدالحلیم محمود، دار المعارف بالقاهرة، بدون سنة الطبع، الطبعة الخامسة، ۱۴۶/۱

۲۴۔ النحل:۹۷

۲۵۔ یونس:۶۲۔۶۴

۲۶۔ الاحقاف:۱۳۔۱۴

۲۷۔ فصلت:۳۰۔۳۵، القرآن والنبی ﷺ، ص:۷

۲۸۔ المرجع السابق، ص:۸

۲۹۔ هود:۵۲

۳۰۔ الطلاق:۲۔۳

۳۱۔ الأعراف:۹۶

۳۲۔ الطلاق:۳

۳۳۔ الحج:۴

۳۴۔ العنکبوت:۶۹

۳۵۔ القرآن والنبی، ص:۹،۸

۳۶۔ البقرة:۲۲۲

۳۷۔ عبدالحلیم محمود، القرآن والنبی، ص:۹،۸

۳۸۔ عبد الحلیم محمود، الدکتور، السنة ومکانتها فی التشریع الإسلامی، بیروت: المکتبة العصریة، صیدا، دون سنة الطبع، ص:۶

۳۹۔ المرجع السابق، ص:۷

۴۰۔ المرجع السابق، ص:۹

۴۱۔ القلم:۴

۴۲۔ عبدالحلیم محمود، الدکتور، السنة ومکانتها فی التشریع الإسلامی، ص: ۱۱،۱۰

○○○